قصص
الإيمان بالقضاء والقدر

إعداد : ياسر علي مور

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الإيمان بقضاء الله ﷻ ركن من أركان الإيمان، يكمل به المسلم إيمانه . والإيمان بالقدر يجعل المسلم راضياً بما قسمه الله له في حياته، سعيداً به، قال تعالى : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) [الحديد : ٢٢ – ٢٣] .

والمسلم يعلم أن قدر الله كله خير ؛ فإن أصابته سراء فشكر كان خيراً له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له ؛ لذلك فهو لا يتحسر على ما فاته من الخيرات والنعم، ولا يشتد فرحه بما آتاه الله ؛ لأن الله قدر له ذلك سابقاً .

وهو في كل ذلك يعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وإن اجتمعت قوى الأرض فلن يقدموا له خيراً أو شراً إلا إذا أراده الله ؛ لذلك فهو يعيش عزيز النفس لا يخضع لأحد إلا لخالقه ﷻ .

وفي القصص التالية سنتناول جوانب القدر، ونقرب موضوعاته في أسلوب مبسط، يزيدنا إيماناً على إيماننا .

طعم الإيمان [١]

أدرك عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن أجله قد اقترب . فأحب أن يوصي ابنه قبل موته، فقال له : يا بني ! إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أول ما خلق الله القلم، قال الله : اكتب . قال : يا رب ! وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة " .

يا بني ! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من مات على غير هذا فليس مني " [أبو داود] .

---

[١] كل ما يصيب الناس من المصائب فهو مكتوب عند الله قبل ذلك . قال تعالى : (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [التوبة : ٥١] .

سؤال النفس [1]

دارت في نفس " ابن الديلمي " بعض التساؤلات عن القدر، فذهب إلى أبي بن كعب رضي الله عنه، وقال له : قد وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني لعل الله أن يذهبه من قلبي .

فقال أبيّ : لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالم لهم . ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم . ولو أنفقت مثل أُحُد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار .

وسمع ابن ابن الديلمي هذا الكلام، فوجد فيه إجابة عن تساؤلاته، لكنه أحب أن يطمئن أكثر وأكثر، فذهب إلى عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم فحدثوه عن النبي ﷺ بمثل ذلك . [أبو داوود] .

عدل الله [2]

في يوم من الأيام، ذهب عمرو بن العاص إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما وقال له : وددت أني وجدت من أخاصم إليه ربي (أحاكمه) .

فقال أبو موسى : أنا (أي : أجيبك عما تريد السؤال عنه) .

فقال عمرو : أيقدِّر الله على شيئاً يعذبني به ؟

فقال أبو موسى : نعم .

قال عمرو : ولم ؟

قال أبو موسى : لأنه – سبحانه – لا يظلمك .

فقال عمرو : صدقت .

---

[1] يصل المؤمن إلى حقيقة الإيمان حينما يؤمن بالقدر . قال ﷺ : " لكل شيء حقيقته . وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه " [أحمد] .

[2] القدر : هو النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود ، والقوانين العامة ، والقواعد والأسباب التي ربط الله بها الأسباب بمسبباتها .

حقيقة الفرار [1]

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المدينة متجهاً إلى الشام . وفي الطريق، قابله أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وأصحابه فأخبروه أن وباء الطاعون قد وقع بأرض الشام .

فاستشار عمر رضي الله عنه من معه في الأمر، ثم عزم على الرجوع، ونادى في الناس بذلك .

فقال أبو عبيدة : أفراراً من قدر الله ؟ قال عمر : لو قالها غيرك يا أبا عبيدة (أي : لأدبته وقيل أي : تعجبت منه) . نعم، نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله . أرأيت لو كان لك إبل، فهبطت وادياً له عدوتان (جانبان)، إحداهما مخصبة والأخرى مجدبة . أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟! [مسلم] .

حقيقة الأسباب [2]

ذهب الصحابي الجليل " أبو خزيمة " رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، فقال : يا رسول الله ! أرأيت رُقى نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتقاة نتقيها . (أي : أن المسلم يسترقي بالرقى الشرعية، ويتداوى بما أحله الله، ويتقي المصائب بما شرع الله) . هل ترد من قدر الله شيئاً ؟

فقال ﷺ : " هي من قدر الله " [الترمذي وابن ماجه] .

(ذلك من الأسباب التي أمر الله عباده أن يأخذوا بها) .

---

[1] الإيمان بالقضاء والقدر له آثار طيبة ، منها : الشجاعة والجرأة والإقدام ، والصبر ، والتسليم ، والرضا ، والتوكل .

[2] القدر السابق لا يمنع العمل ، ولا يوجب الاتكال ، وإنما يوجب الجد والاجتهاد ، والحرص على العمل الصالح .

الكلمات النافعة [1]

ذات يوم، ركب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما خلف النبي ﷺ على دابته، وكان عبد الله غلاماً صغيراً، فقال له النبي ﷺ : " يا غلام، إني أعلمك كلمات " . فانتبه عبد الله وأصغى إلى ما يقوله النبي ﷺ .

فقال : " احفظ الله (التزم أوامره، واجتنب ما نهى عنه) يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك (تجده معك، يحفظك ويعينك) . إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك .. رفعت الأقلام، وجفت الصحف (أي : أن المقادير قد تم الانتهاء من كتابتها منذ زمن بعيد) [الترمذي] .

المؤمن والكافر [2]

صلى النبي ﷺ صلاة الصبح بالحديبية ذات يوم، وكانت الليلة ممطرة . فلما انتهى من صلاته أقبل على الناس، فقال : " أتدرون ماذا قال ربكم ؟ " .

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : قال تعالى : " أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر بي ؛ فأما من قال : مُطرْنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب . وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب " [متفق عليه] .

وذلك لأن الله ﷻ هو الذي يقدِّر نزول المطر، أو منعه، ولا يقدر على ذلك أحدد سواه .

---

[1] إذا رأى أحدكم ما يكره ، فليقل : " اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك " [أبو داود] .

[2] قال ﷺ : " عجبت من قضاء الله – تعالى – للمؤمن ، إن أصابه خير حمد ربه وشكر ، وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبر . المؤمن يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته " [أحمد] .

اختبار الله [1]

في يوم من الأيام، تنكَّر الشيطان في صورة إنسان، وذهب إلى نبي الله عيسى عليه السلام ليوسوس له، فقال له :

ألست تزعم أنه لا يصيبك إلا ما كتب الله لك ؟

قال عيسى عليه السلام : بلى .

فقال إبليس – لعنه الله - : إذا كان الأمر كذلك، فاقفز من فوق هذا الجبل، فإنه إن قدّر الله لك السلامة فسوف تسلم .

فأدرك عيسى عليه السلام أن الذي يكلمه هو الشيطان، فقال له : يا ملعون ! إن الله عز وجل يختبر عباده كيف يشاء، وليس للعبد أن يختبر مولاه عز وجل . [ابن كثير : قصص الأنبياء] .

الجمل الأجرب [2]

حكى الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه ذات يوم : " لا عدوى (أي : لا يعتقد أحد في أن المرض ينتقل إليه بالعدوى من مريض آخر) " .

وكان من بين الحاضرين رجل أعرابي، فقام ليذكر دليلاً يثبت به أن المرض يمكن أن ينتقل بالعدوى، فقال : أرأيت الإبل في الرمال أمثال الظباء، فيأتيها البعير الأجرب، فتجرب .

فقال ﷺ : " فمن أعدى الأول ؟ " [البخاري] .

وبهذا يؤكد النبي ﷺ أن النفع والضر من الله عز وجل وحده، فإذا انتقل المرض من جسد لآخر، فإنما يكون بإذن الله وقدرته، وليس لأن المرض انتقل من تلقاء نفسه .

---

[1] كان النبي ﷺ يذكر ربه بعد الصلاة بقوله : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد " [البخاري] .

[2] قال ﷺ : " لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل " . قالوا : وما الفأل ؟ قال : " كلمة طيبة " [مسلم] . والطيرة : هي التشاؤم .

الحجة القوية [1]

حكى النبي ﷺ أن نبي الله موسى عليه السلام خاطب ربه ﷻ يوماً . فقال : " يا رب، أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة " . فأراه الله آدم عليه السلام .

فقال موسى عليه السلام : أنت أبونا آدم ؟ قال : نعم .

فقال : أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها، وأمر الملائكة أن يسجدوا لك ؟ قال : نعم .

قال : فما حملك أن تخرجنا ونفسك من الجنة ؟ .

وحينئذ، أراد آدم عليه السلام أن يوضح لموسى أنه فعل ذلك ؛ لأن الله قدره عليه، فسأله : أكلمك الله من وراء الحجاب، و لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه ؟ قال موسى : نعم . قال : فما وجدت أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أخلق ؟ قال : بلى ! قال : أفتلومني في شيء سبق فيه من الله القضاء قبلي ؟ ولما انتهى النبي ﷺ من هذه الحكاية قال : " فحجّ آدمُ موسى فحج آدم موسى . فحج أدم موسى " [متفق عليه] .

غضب النبي ﷺ [2]

في يوم من الأيام، جلس بعض الصحابة يتناقشون، ويتنازعون في موضوع القدر، فحضر رسول الله ﷺ وهم كذلك، فغضب غضباً شديداً حتى احمر وجهه، وقال : " أبهذا أمرتم ؟ أم بهذا أرسلت إليكم ؟ إنما أهلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر . عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه " [الترمذي] .

---

[1] اعترف آدم – عليه السلام – بخطئه حينما أكل من الشجرة ، ثم تاب إلى ربه ، ولكنه لم يكن مصدر عناء الناس بإخراجهم من الجنة ، إنما كان ذلك من شئون القدر الأعلى .

[2] القدر يرد بالدعاء ، قال ﷺ : " لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر " [الترمذي] . لذلك يستحب للمسلم أن يكثر من الدعاء والتضرع لله .

أول الشرك [1]

في أحد الأيام، ذهب بعض الناس إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وقالوا له : إن رجلا قدم علينا يكذب بالقدر .

فغضب عبد الله، وقال : دلوني عليه ؟

(وكان ذلك في شيخوخته وهو كفيف البصر) قالوا : وما تصنع به ؟ قال : والذي نفسي بيده، لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته في يدي لأدقنها، ثم قال : هذا أول شرك هذه الأمة . والذي نفسي بيده، لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدّر خيراً، كما أخرجوه من أن يكون قدّر شراً . [أحمد] .

السلام المردود [2]

في يوم من الأيام، أتى رجل إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبلغه السلام من أحد الناس، فقال له : إن فلاناً يقرأ عليك السلام .

فقال عبد الله : إنه بلغني أنه قد أحدث، فإن كان أحدث، فلا تقرئه مني السلام ؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " يكون في هذه الأمة (أو في أمتي) خسف أو مسخ أو قذف، في أهل القدر " [الترمذي] .

كل شيء بقدر [3]

---

[1] قال تعالى : (وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً) [النساء : ٧٨] .

[2] قال ابن مسعود – رضي الله عنه - : إن الله بقسطه (بعدله) وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط .

[3] قال الله تعالى في الكافرين المكذبين بالقدر : (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ، إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر : ٤٨ – ٤٩] .

حكى عبد الواحد بن سليم – وهو أحد التابعين – فقال : قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبي رباح، فقلت له : يا أبا محمد .. إن أهل البصرة يقولون في القدر . قال : يا بني .. أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . قال : فاقرأ الزخرف . فقرأت (حم، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ، إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ) [الزخرف : ١ – ٤] .

فقال : أتدري ما أم الكتاب ؟ قلت : الله ورسوله أعلم، قال : فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السماوات وقبل أن يخلق الأرض، فيه أن فرعون من أهل النار، وفيه تبت يدا أبي لهب وتب .

كلمة الرضا [1]

يحكى أن رجلا من الأجانب، كان يدرس علم الاجتماع، ويطبقه على المجتمع الشرقي خاصة . فقرر الذهاب إلى إحدى القبائل المسلمة، لدراسة سلوكهم وأنماط حياتهم .

ولكنه لاحظ شيئاً مهما، فإذا أصيب أحدهم بأذى قال كلمة فاستراح بعدها وهدأ . وكان هذا المشهد يتكرر أمامه باستمرار، وفي كل مرة يقول المصاب نفس الكلمة .

فسألهم : ماذا تقولون في وقت المصائب ؟

فقالوا : إننا قوم مؤمنون، رضينا بالله رباً، ورضينا بما قدره علينا ؛ ولذلك نقول : قدر الله وما شاء فعل .

فاندهش الرجل لهذه الكلمة السحرية التي يخضع لها الجميع، ولما تدبرها علم أنها تحقق للإنسان الرضا الكامل، وأحس أنه عثر على شيء كان مفقوداً منه، فأعلن إسلامه على الفور .

---

[1] قال ابن عون : إن العبد لن يصيب حقيقة الرضا حتى يكون رضاه عند الفقر والبلاء كرضاه عند الغنى والرخاء .

المكان المعلوم [1]

في يوم من الأيام، كان ملك الموت عند نبي الله سليمان عليه السلام وهو في الشام فشاهد معه رجلا، فتعجب ملك الموت تعجباً شديداً ؛ لأن الله عز وجل قدّر على هذا الرجل الموت بعد قليل، وقد طلب الله عز وجل منه أن يقبض روحه في الهند . ولكن الملك امتثل لأمر الله عز وجل وذهب إلى الهند .

وفي هذا الوقت، كان الرجل قد أصابه الرعب والفزع من شكل ملك الموت، فطلب من نبي الله سليمان عليه السلام أن يحمله إلى مكان بعيد، فأمر الرياح فحملته إلى الهند .

وهناك، في المكان المحدد، والموعد المحدد، وجد ملك الموت في انتظاره، فقبض روحه، حيث قدر الله عز وجل .

الاستغاثة المكروهة [2]

كانت امرأة أعرابية في طريقها ذات يوم، فمرت على قوم يصيحون ويصرخون .

فقالت : لماذا يصرخ هؤلاء الناس هكذا ؟

فقيل لها : مات لهم إنسان .

فقالت المرأة الأعرابية المؤمنة : ما أراهم إلا من ربهم يستغيثون، وبقضائه يتبرمون (يضيقون)، وعن ثوابه يرغبون (يبتعدون) .

---

[1] الإيمان بالقدر لا يمنع أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية ، قال تعالى : (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) [البقرة : ٢٨٦] .

[2] قال علي – رضي الله عنه - : إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور (لك أجر) ، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور (عليك وزر) .

الصبر الحقيقي [1]

مر النبي ﷺ على المقابر ذات يوم، فوجد امرأة جالسة تبكي بجوار قبر، فقال لها النبي ﷺ : " اتقي الله، واصبري " . و لم تكن المرأة تعرفه، فقالت له : إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي . فتركها النبي ﷺ ومشى، فقال الناس للمرأة إنه رسول الله .

فأسرعت خلف رسول الله ﷺ حتى أدركته، فاعتذرت إليه، فعلمها النبي ﷺ أن تصبر حينما تتلقى قدر الله من أول الأمر، فقال لها : إنما الصبر عند الصدمة الأولى " [متفق عليه] .

الصبر الجميل [2]

عندما انتهى المسلمون من القتال في غزوة أحد، عادوا إلى المدينة، وكانت بهم جراح كثيرة، كما استشهد كثير من المسلمين في هذه المعركة .

وفي طريق عودتهم، قابل النبي ﷺ السيدة حمنة بنت جحش رضي الله عنها فقال لها :" احتسبي " . فقالت : من يا رسول الله ؟ قال : " خالك حمزة " .

قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون . غفر الله له . هنيئاً له الشهادة . ثم قال لها : " احتسبي " . فقالت : من يا رسول الله ؟ قال : " زوجك مصعب بن عمير " .

فقالت : واحزناه، وصاحت وولولت .

فسألها ﷺ : " لم فعلت ذلك ؟ " . قالت : تذكرت يتم بنيه فراعني (أفزعني) . فدعا لها رسول الله ﷺ .

---

[1] قال رسول الله ﷺ : " إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحد ، يصرفه حيث يشاء " [مسلم] .

[2] حث النبي ﷺ على الرضا بالقدر ، فقال : " .... وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان " [مسلم] .

ثمرة الفؤاد [1]

إذا مات ولد الإنسان، وقبضت الملائكة روحه، سأل الله ﷻ ملائكته – وهو أعلم بالجواب - : " قبضتم ولد عبدي ؟! " . فيقولون : نعم . فيقول : " قبضتم ثمرة فؤاده ؟! " . فيقولون : نعم .

فيقول : وماذا قال عبدي ؟

فيقولون : حمدك واسترجع . (أي قال : الحمد لله، إنا لله وإنا إليه راجعون) .

فيقول الله تعالى : " ابنـــوا لعبدي بيتاً فـــي الجنة، وسموه بيت الحمد " [الترمذي وأحمد] .

وهكذا استحق الإنسان أن يفوز ببيت في الجنة ؛ لأنه صبر عند الابتلاء، ورضي بقضاء الله .

إنها رحمة [2]

دخل النبي ﷺ على ابنه إبراهيم، وهو على فراش الموت، فانهمر الدمع من عينيه ﷺ، فـــرآه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فقال له : وأنت يا رسول الله ؟!

وكان عبد الرحمن رضي الله عنه يقصد من سؤاله : كيف ينهى رسول الله ﷺ عن البكاء ويبكـــي . فبين ﷺ أن ما حدث منه ليس من جنس ما نهى عنه، إنما نهى عن النياحة .

فقال النبي ﷺ : " يا بن عوف ! إنها رحمة " .

وسكت وقتاً يسيراً، ثم قال : " إنها رحمة .. إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا مـــا يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون " [البخاري] .

---

[1] للصابرين على قضاء الله أجر كبير . قال تعالى : (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) [البقرة : ١٥٥ – ١٥٧] .

[2] قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - : لا مانع من البكاء على الميت إذا كان على وجـــه الرحمـــة ، ولا يتعارض مع الرضا بقضاء الله وقدره .

الرضا بالقضاء [١]

كان أبو ذر الغفاري رضي الله عنه رجلاً فقيراً من صحابة رسول الله ﷺ، ولما أراد الزواج لم يجد لديه مالاً، فذهب إلى رسول الله ﷺ، وقال له : يا رسول الله ! إني رجل شاب، وأخاف على نفسي العنت (المشقة)، ولا أجد ما أتزوج به . فسكت رسول الله ﷺ، و لم يجبه .

فكرر أبو ذر كلامه ثلاث مرات .

فأرشده ﷺ إلى ضرورة الرضا بقضاء الله فيه، فقال له : " يا أبا ذر ! جفَّ القلم بما أنت لاق، فاختص على ذلك أو ذَرْ " [البخاري] .

الفقر والغنى [٢]

خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يذكرون الفقر ويتخوفون منه، فقال لهم رسول الله ﷺ : " الفقر تخافون ؟ والذي نفسي بيده لتصبن عليكم الدنيا صبا حتى لا يزيغ قلب أحدكم إزاغة إلا هِيَه . وأيم الله، لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء " . [ابن ماجه] .

فالفقر بقدر الله وقضائه، وكذلك الغنى بأمر الله ﷻ وقدره .

سعادة وشقاء [٣]

سمع عامر بن واثلة رضي الله عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره .

---

[١] القضاء : هو أن يوجد الله – عز وجل – الأشياء في الدنيا ، حسب علمه الأزلي ، وإرادته . والإيمان بذلك واجب على كل مسلم حتى يكون إيمانه صحيحاً .

[٢] روي أنه ﷺ قال : " من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله ، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله " [الترمذي] .

[٣] المسلم يؤمن بأن الله – تعالى – يعلم كل شيء جملة وتفصيلا . (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [الحج : ٧٠] .

فذهب عامر إلى حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنهما فحدثه بما سمعه من ابن مسعود، وسأله : كيف يشقى رجل بغير عمل ؟ فقال حذيفة : أتعجب من ذلك ؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة، بعث الله تعالى إليها ملكاً، فصورها وخلق سمعها وبصرها، وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال : يا رب ذكر أم أنثى ؟

فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك : ثم يقول : يا رب ! أجله ؟ . فيقول ربك ما يشاء، ويكتب الملك . ثم يقول : يا رب ! فيقضي ربك ما يشاء، ويكتب الملك . ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أُمِر ولا ينقص " [مسلم] . وما سبق في علم الله من شقاوة المرء أو من سعادته أو أنه من أهل الجنة أو من أهل النار لا يجعل الإنسان يترك العمل، لأن الإنسان لا يعلم شيئاً، فليعمل، فكل ميسر لما خلق له، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) [الكهف : ٣٠] .

الجدل المكروه [١]

بعد صلاة العشاء، خرج النبي ﷺ من المسجد، واتجه إلى بيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه فوجده قد نام مبكراً قبل أن يصلي صلاة القيام فقال له النبي ﷺ : " هل قمت من الليل ؟ " .

فقال : يا رسول الله ! أنفسنا بيد الله، إن شاء بسطها، وإن شاء قبضها .

فغضب رسول الله ﷺ، وخرج وهو يضرب على فخده ويقول : " وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً " [البخاري] .

[١] ربما كره الإنسان أمراً فيه نفعه ، وأحب أمراً فيه هلاكه ، قال تعالى : (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) [البقرة : ٢١٦] .

الحجة الساطعة [1]

ذات يوم، اجتمع المشركون لمناقشة قضيتي الإيمان والشرك، فقال أحدهم : إن الله هو الذي قدر علينا الشرك .

فقال آخر : وكيف ذلك ؟

قال : لأن الله لو لم يشأ أن نكون مشركين لما كنا كذلك .

وكان الله ﷻ قد أنزل آية تنبئ بما سيكون من هؤلاء المشركين، وتبطل حجتهم في نفس الوقت . قال تعالى : (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ، قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) [الأنعام : ١٤٨ – ١٤٩] .

القول المفزع [2]

ذات يوم، تحدث " عمران بن حصين " ﷺ مع " أبي الأسود الدؤلي " – رحمه الله – فقال عمران : أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه .. أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر مما سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم ؟

فقال أبو الأسود : بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم .

قال عمران : أفلا يكون ظلماً ؟

ففزع أبو الأسود من قوله فزعاً شديداً، وقال : كل شيء خلْق الله ومِلْك يده، فلا يُسأل عما يفعل، وهم يسألون .

---

[1] سخر الله من المشركين ، فقال تعالى : (وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ، أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ) [الزخرف : ٢٠ – ٢١] .

[2] خلق الله – عز وجل – الإنسان وزوده بقوى وملكات ، يمكنه أن يوجهها إلى الخير ، كما يمكن أن يوجهها إلى الشر ، وهو محاسب على توجيهه إياها في الخير أو الشر .

فقال عمران : يرحمك الله . إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزُر عقلك (أختبرك وأمتحنك) ؛ إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ، فسألاه هذا االسؤال، فأجابهم رسول الله ﷺ بقوله :

" لا . بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم . وتصديق ذلك في كتاب الله ﷻ : (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) [الشمس : ٧ – ٨] .

[رواه مسلم] .

أعمال الناس [١]

جلس سراقة بن مالك رضي الله عنه يتفكر في أعمال الناس، أهي قديمة مما كتبه الله ﷻ عليهم سابقاً، أم أنها جديدة مما يعملونه في الحاضر والمستقبل ؟!

فذهب إلى رسول الله ﷺ، وقال له : يا رسول الله ! بيِّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن .. فيم العمل اليوم : أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل ؟

فقال ﷺ : " لا . بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير " .

قال سراقة : ففيم العمل ؟

فقال ﷺ : " اعملوا، فكل ميسر لما خلق له، وكل عالم لعمله " [مسلم] .

مقاعد الجنة والنار [٢]

خرج الصحابة – رضوان الله عليهم – في جنازة في بقيع الغرقد، فأتاهم النبي ﷺ، فقعد، وقعدوا حوله، وكان معه عصا، فجعل ينكت (يخط) بها في الأرض، وكأنه يفكر في شيء، ثم قال : " ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة " .

---

[١] كل الأشياء مقدرة قبل وجود الخلق ، قال تعالى : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [الحديد : ٢٢] .

[٢] الله – عز وجل – عالم بما سيعمل الناس في الدنيا ، وما يصيرون إليه في الآخرة من ثواب أو عقاب .

فقال رجل : يا رسول الله ! أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من من أهل الشقاء فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة . قال : " اعملوا فكل ميسر . أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة " . ثم تلا : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) [الليل : ٥ – ١٠] .

[متفق عليه] .

الصحبة الطويلة [١]

يحكى أنه كان هناك رجل خبيث، ساحر، يشعوذ على الناس، يزعم أنه يعلم الغيب ويغير القدر، فتنبه له رجل كان يحضر مجالس الذكر . ويسمع ذم المنجمين وتكذيبهم بالقرآن والحديث، فذهب إليه ليبين للناس كذبه، فقال له : إني أريد أن أنكح امرأة . ما ترى فيها ؟ هل هي سعد لي أو نحس علي ؟

فعرض ذلك على قواعده الشيطانية، ثم قال له : دعها، فإنك إن أخذتها لا تبلي معها ثوباً (أي : يموت سريعاً، ولا تطول معها صحبة) ..

وكانت تلك المرأة التي سأله عنها وسماها له هي زوجته، وقد طالت صحبته معها، وله منها خمسة من الأولاد، فدعاهم كلهم بأسمائهم حتى حضروا، فقال له : هؤلاء أولادي منها .

فبين الرجل للناس أنه لا يستطيع أحد أن يرد شيئاً مما قدره الله، ولا يعلم الغيب إلا الله . [معارج القبول] .

---

[١] المسلم لا يحزن على ما فاته ، ويشكر الله على ما أُوتي قال تعالى : (لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) [الحديد : ٢٣] .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد